البيئة الكونية في الرواية السعودية نماذج مختارة

دراسة في ضوء النقد البيئي

الباحثة/ فاطمة جاري عايض القرني

(باحثة دكتوراه) قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الملك سعود بالرياض

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يهتم النقد البيئي بالأعمال الأدبية التي تعالج مشاكل البيئة في الرواية السعودية، ويهتم بالعلاقات بين الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية، وكيف تمثلت علاقة الإنسان ببيئته.

وتكمن أهمية الموضوع في مساهمته بدراسة بعض النصوص والخطابات الأدبية والابداعية، والبحث عن مكانة البيئية وعلاقة الإنسان بها في بعض الروايات السعودية من خلال التنظير والتحليل والفحص والوقوف على طبيعة هذه العلاقة ودور الوعي في تطورها سلباً وإيجاباً. من هنا يحاول هذا البحث طرح هذه العلاقة معتمداً على النقد البيئي. والوقوف على الوعي البيئي الرواية السعودية.

الكلمات المفتاحية: بيئي، توازن بيئي، طبيعة، تكامل، ترابط.

المقدمة:

كان ظهور الدراسات البيئية متزامناً مع ظهور التيارات العالمية التي تدعو إلى العدالة والمساواة و الحفاظ على المظاهر الطبيعية والممارسات الحقيقية للكائنات بعد أن فقدت كثيراً من المزايا التي كانت تتمتع بها سابقاً قبل ظهور الصراعات والحروب، والتوجّه نحو الحياة الصناعية والتقنية التي أفقدتها كثيراً من مظاهرها وتشويهها وتدميرها أحياناً، لهذا تصدّى الباحثون والمبدعون للمطالبة بالحفاظ عليها، ورعاية تمثلاتها الحقيقية والرمزيّة وكان من ضمنهم مبدعو الأدب ونقّاده، فظهرت الدراسات البيئية الخاصة بالإبداع الأدبي ، التي تهتم بدراسة الأشكال التي يتم فيها تفاعل الكائنات مع بعضها في إطار بيئي معيّن، ويضم إلى جانب الثلاثيّة الخاصة بالكائنات(الإنسان، والحيوان، والنبات) ،(الأرض) وما عليها من ظواهر مختلفة واتسعت لتشمل الكون لكونه بيئة واسعة تضم بيئات متنوعة[١].

فالنقد البيئي "Ecocriticism"حركة نقدية جديدة ظهرت في حقبة السبعينيات الميلادية، وقد عنيت بدراسة العلاقات بين الأدب والبيئة الطبيعية، وكيفية تمثيل علاقات الإنسان ببيئته المادية في الأدب، وتبرز قيمته بأنّه مشروع إنساني جديدٌ عماده نظرة جديدة تؤسس لحضارة جديدة، باعتبار أن ما نواجهه بحسب الأزمة العالمية يدعو المؤسسات العالميّة باختلاف تخصصاتها وتوجهاتها إلى إعلان حالة الخطر في القضايا الرئيسية التي تعرضت لها وسببت زعزعة في أساساتها وانحرافها بشكلٍ حادٍّ، فالعالم الذي نعيش فيه اليوم هو عالم مصطنعٌ، أكثر من كونه عالما طبيعياً[٢].

بدأ هذا النوع من النقد في عام ١٩٩٥م عندما عقدت سلسلة من المؤتمرات المهنية الرائدة، وكانت مقالة فريدريك واغ " Fredeick Waage"من أوائل المحطات التي وضعت جذور هذا النقد وكانت بعنوان "تدريس الأدب البيئي: المواد والطرق والمصادر. وتعتبر الباحثة شيريل قولتفيلتي "Cheryll Glotfelty" هي المؤسس المشارك والرئيس السابق لرابطة دراسة الأدب والبيئية ومن أبرز باحثي النقد البيئي حيث نشرت كتاباً مشتركاً مع هارولد فروم"Harold Fromm" الذي يضم مختارات نقدية بعنوان" القراءة النقدية البيئية/The Ecocriticism Reader"[٣].

---

(١)ينظر: الخليل، سمير، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص٥٢-٥٤.

(٢) جيرارد، جرج، النقد البيئوي، تر: عزيز صبحي جابر، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٩، ص١٠. وينظر: بعلي، حنفاوي، مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧، ص٣٣٤.

(٣) Karl Kroeber:Ecological Literary Criticism, Romantic Imagining and the Biology of Mind, paperback, Columbia University Press, ١٩٩٤. P.١٨٥.

ويُعدّ جريج جاردارد" Greg Garrard" أستاذ ورئيس لاتحاد دراسة الأدب والبيئة في المملكة المتحدة وإيرلندا، وله كتب ومقالات في علم التربية البيئية، والدراسات الحيوانية، والنقد البيئي، وهو من أبرز باحثي النقد البيئي.

ويعتبر النقد البيئي مبحثاً تنضوي تحته مختلف مباحث العلوم الإنسانية، ويهتم بمعالجة العلاقة بين الأدب من جهة وغيره من أنواع الثقافة والمباحث التي تهتم بالعالم الطبيعي من جهة أخرى، مع الاهتمام برفع الوعي بالقضايا البيئية [١]. و"غالبا ما تعدّ الفلسفة البيئية متطابقة مع الأخلاق البيئية، أي كجهد في سبيل فحص نقدي لفكرة أن الطبيعة تمتلك قيمة أصيلة، وكبحث في إمكان وجود واجبات خلقية على البشر حيال الحيوانات والنباتات والمنظومات البيئية. لكن...تخطى الفلسفة البيئية القضايا الأخلاقية وأصبح يتضمن قضايا متنوعة ميتافيزيقية ومعرفية وثقافية وسياسية أيضاً"[٢].من هنا نجد تعريفات متعددة لهذا النقد تختلف باختلاف مداخل القراءة والتطبيق، ويعتبر أشهر تعريف يرسم حدود هذا المصطلح ما ورد في كتابات شيريل بورغس غلوتفلتي"Cheryll Glotfelty" التي كتبت أنه" دراسة العلاقات بين الأدب والبيئة؛ فكما يسعى النقد النسوي إلى دراسة اللغة والأدب من منظور واعٍ بالجندر، ويحاول النقد الماركسي أن يجلب وعياً بطرق الإنتاج والطبقة الاقتصادية في قراءة النصوص يتبنّى النقد البيئي مقاربات تستند إلى الأرض" [٣]. وقدّم الباحث الأمريكي سكوت سليفيك"Scott Slovic" تعريفاً للنقد البيئي بأنه" فحص الآثار البيئية والعلاقات بين الإنسان والطبيعة في أي نص، مع العلم أن ذلك يتوفر في النصوص التي تبدو للوهلة الأولى غافلة عن العالم غير الإنساني"[٤].

ونتيجة لاختلاف المداخل التعريفية، ولأن النقد البيئي يضم معارف متعددة تتداخل فيها علوم متنوعة فإن المصطلحات التي أطلقت عليه كانت كثيرة ومتنوعة ومنها[٥]:

الدراسات الثقافية الخضراء"Green cultural studies ".

الشعرية أو البوطيقا البيئية"Ecopoetics Environmentalliteraycriticism".

التمركز حول البيولوجيا"Biocentrism ".

مركزية البيئة "Ecocentrism".

النسوية البيئية"Ecofeminism".

---

(١) موران، جو، العلم والمكان والطبيعة "في النقد البيئي"، تر: سمر طلبة، فصول، النقد الأدبي وتداخل الاختصاصات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد (٢/٢٦)، العدد (١٠٢)،٢٠١٨، ص٤٠٢.

(٢) زيمرمان، مايكل، "الفلسفة البيئة" من حقوق الحيوان إلى الايكولوجيا الجذرية، تر: معين رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،٢٠٠٦، ص١٧.

(٣) Cheryll Glotfelty,"literary studies in an Age of Environmental Crises, "The Ecocriticism Reader: Landmarks in Literary Ecology,ed Glotfelty and Harold Froom, Athens, the University of Georgia Press,١٩٩٦,p.xviii.

(٤)Scott Slovic, Going Away to Think: Engagement, Retreat, and Ecocritical Responsibility. Reno: University of Nevada Press, ٢٠٠٨, p.٢٧.

(٥) See, Barry, Peter. "Ecocriticism". Beginning Theory: An Introduction to Literary and Cultural Theory. ٣rd ed. Manchester: Manchester UP, ٢٠٠٩.

البيئة الكونية:

تشكل البيئة مرتكزاً واضحاً في التراث العربي وفي الأدب الحديث، فالعرب القدامى نجد لديهم وعي عميق بعلاقة الشعر بالبيئة، وتأثير البيئة على معاني الشعر ولغته، فنجدهم يربطون بين كثير من الظواهر الشعرية وبيئاتها الطبيعية والإنسانية، فتنبهوا للصلة بين البيئة الحجازية ورقّة الشعر فيها [١]، ويتجلى الوعي لدى القاضي الجرجاني، فهو يرى أن البيئة بنوعيها الطبيعية والاجتماعية تمد الشعراء بمعان متقاربة وتؤثر في أساليبهم التصويرية حيث يقول:" إن من المعاني والصور ما تتسع له أمه وتضيق عنه أخرى...كتشبيه العرب الحسناء بتريكة النعام، ولعل من الأمم من لم يرها، وحمرة الخدود بالورد والتفاح، وكثير من الأعراب لم يعرفها كأوصاف الفلاة"[٢]. وهنا نلمس مدى الإدراك بتأثير كل بيئة على ساكنيها في توعيتهم وتوسعة مداركهم، وينبه إلى صعوبة قراءة الشعر من طرف قراء لا ينتمون إلى بيئة الشاعر، وهو بذلك يشير إلى أهمية إدراك طبيعة المجتمع والعصر لفهم المعاني.

كذلك نجد الوعي بالبيئة لدى أبو هلال العسكري حيث ينتبه إلى تأثير الجنس الواحد والبيئة الواحدة عامة بقوله:" وإذا كان القوم في قبيلة واحدة، فإن خواطرهم تقع متقاربة، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة" [٣] ولابد أن هذا الإدراك نابع من ملاحظة أشعار الشعراء التي كانت لصيقة ببيئاتهم ومعبرة عنها، فمن خلال قراءة واحدة يمكن للقارئ المعاصر أن يميز بين شعر بدوي وشعر حضري، من خلال المفردات اللغوية والمشاهد التصويرية التي تنم عن أثر البيئة، حيث يظهر أثر البيئة على البدوي من خلال خشونة ألفاظه وصعوبتها على غيره، ولذلك كان يُعاب على من يرقق أو يخشن في غير موضع الترقيق أو التخشين. وقد أشار الآمدي في كتابه الموازنة إلى ذلك، حيث رأى أن البيئة الواحدة تنتج شعراً يتفوق في كثير من المعاني [٤]. وينبه ابن رشيق إلى أثر الثقافة في تزويد الشاعر بمقومات الصناعة الشعرية، وتلك الثقافة تكون نابعة من بيئة الشاعر التي يعيش فيها، بحيث يكون ملزماً بالدراية بها فيقول:" والشاعر

---

(١) البوشيخي، الشاهد، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص)، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩، ص١٥٧.

(٢) الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٩٦٦، ص١٠٨-١٠٩.

(٣) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٥٢، ص٢٣٦.

(٤) الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ط١، ١٩٤٤، ص٥٠.

مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل حمل من نحو ولغة وحساب وفريضة، وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب"[1].

ولا يخلو الأدب السعودي من إشارات أو حديث أو تضمين لعلاقة الإنسان بالبيئة، وقد تجلى في الوعي بالبيئة الكونية في مظهرين أساسيين للرواية السعودية هما: ثنائية التضاد، والموقف من البيئة.

أولا: ثنائية التضاد

الثنائيات الضديّة ظاهرة فلسفية انتقلت إلى النقد وطُبّقت على الأدب، وهي انعكاس لمظاهر الكون وتعبير عن النفس البشرية المتقلبة في صراعاتها، وإذا تأملنا ما حولنا نجد أنه معتمد على أضداد تشكل ثنائيات متقابلة يبنى عليها الكون كلُّه ويستمر بها؛ ففي الطبيعة أرضٌ وسماء، نورٌ وظلام... والطبيعة البشريّة قائمة على المفارقات والتناقضات، والمنظومة البيئية قائمة على العديد من الثنائيات المتناقضة أو المتقابلة ، فمثلاً يتألف النظام البيئي من مكوّنات غير حيّة ، كالهيدروجين والماء والفوسفات والتربة، ومكوّنات حيّة ويندرج تحتها الكائنات المنتجة والمستهلكة، والدقيقة وغيرها التي تتفاعل فيما يسمّى البيئة الفيزيائية بحيث يمارس الكائن الحي نشاطه . والتضاد سمة الوجود، ومادام سمة الوجود فهو أساس التقابل في اللغة، وهذا ما يؤكّده الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله: "والوجود في مشاقة مع ذاته.. التناقض جوهره، والتغيير قانونه، الذي يجري عليه في تحقّقه. والتغير معناه المغايرة، والمغايرة أن يصير الشيء إلى ذاته، وهذه الغيرية معناها وجود التضاد في طبيعة الوجود.. وإذا كان التغير جوهر الوجود كان التضاد من جوهر الوجود كذلك.. ومنطق الوجود يجب أن يكون جارياً على نحو ديالكتيكي. ولذا كان الديالكتيك بمعنى السياق المنطقيّ من الموضوع إلى نقيض الموضوع، صحيحاً في التعبير عن حقيقة الوجود، وهو وحدة المنطق الوجوديّ، لا ذلك المنطق القائم على أساس مبدأ عدم التناقض، وهو المنطق الارستطاليّ، فإنّ هذا المنطق مجرد فكر مثالي"[2]. وعندما نتأمل الثنائية التي تنتظم في عقدها العلاقة الكونية بين الإنسان والبيئة، وبين البيئة وبقية العناصر بما فيها الإنسان فإننا ندخل في عالم بيئي يختلط فيه التعقيد والتقارب والتنافر والتماثل والتضاد، فمنذ القدم كانت الطبيعة هي التي لا يكتمل عقد الحياة البيئية إلا بها، رغم تنافر وتضادّ بعض مكوناتها لبعضها الآخر.

([1]) الأزدي، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، ج١، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٧٢، ص١٩٧.

([2])بدوي، عبد الرحمن ــ الزمن الوجودي، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٣، ص ٢٤ ــ ٢٦.

وبالتالي فالثنائيات تتأسس على مبدأ الضديّة، على مستوى اللغة والموضوع والصورة، وتنشأ الشعرية على الأنساق المضمرة، فتولّد فضاءً مائزاً للنص، إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية، وفعلية بأزمنة مختلفة وتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور، تلتقي وتتصادم وتتقاطع وتتوازى، ووفرة الثنائيات في النص الأدبي دليل على انسجام إيقاعاته، وانفتاحه على أكثر من محور، مما يضفي على النص مجموعةً من الخصائص الجمالية [1].

إنّ الجمع بين المتناقضات والمقابلة بينهما على نحوٍ يبرز الإحساس بقيمة المتناقِضَين في المحيط البيئي وما يحدث من تفاعلات تنتج عن الوعي بذلك المحيط، والموت والحياة مظهرين متعارضين، وفي ذات الوقت متكاملين ومتلازمين لسير عجلة الحياة ولضرورة تجدّدها، ويشمل ذلك النبات والحيوان والإنسان والمكان، كلها تموت وتولد أخرى لتستمر الحياة وهكذا دواليك. وعند البحث عن الثنائيات التي تتكرر في فضاء الرواية السعودية نجدها غالبا ما تتمثل في ثنائيات كبرى نحو الحياة والموت، أو الخير والشر، والليل والنهار، أو الصحراء القاحلة والواحة الخضراء، أو الأنا والآخر وغيرها الكثير مما يزخر به الكون من ثنائيات تتقابل في ضدها أو تتباين. وتُعد ثنائية الموت والحياة من العناصر التي وقف عندها الأدباء والشعراء والفلاسفة، وتعددت ومواقفهم ورؤاهم الفلسفية حولها وسنتناولها كما يلي:

أ-ثنائية الموت والحياة

يعد الموت من أكثر الأمور الغيبية مثاراً للحيرة، ومكوناً للضعف، والعجز البشري، لذلك حاول الإنسان منذ فجر التاريخ نسج الأساطير من مخيلته، بعدما عجزت قدراته العقلية المتواضعة عن سبر أغواره، وتعطيل آثاره المأساوية، فهو حقيقة لا تتغير أبداً، وهذا يعكس علاقة الموت بالزمن؛ إذ تشكل تجربة الموت" أشد وجوه الزمنية غوراً في الذات الإنسانية، وفي علاقة الإنسان بالكون والطبيعة"[2].

وترتبط الأعمال الأدبية الشعرية والنثرية بالحياة والموت لأنها تعطينا جوهر الأشياء لا ظواهرها، وتذهب باللغة بعيداً عن وجهها الذي نطالعه مباشرة، لأنها تخضع لتجربة الأديب الذي يستبطن الأشياء ويتغلغل فيها، ويتابعها في أوج حركتها وديمومتها،

---

(1) ديوب، سمر، الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، د. ط، ٢٠٠٩، ص٧.

(2) أبو ديب، كمال، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص١١١، وينظر: درو، اليزابيت، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، تر: محمد إبراهيم الشوش، مكتبة منمينة، بيروت،١٩٦١، ص١٤٩.

إذ يكسر الحاضر الآني، منطلقاً إلى الآتي [1]. وبالبحث في سطور الرواية السعودية نجدها تزخر بالعديد من الثنائيات وأبرزها ثنائية الموت والحياة، وتتمثل كعنوان رئيس لرواية عبده خال " الموت يمر من هنا" حيث تتناول الرواية فصولاً تحكي من خلالها عن الموت الذي يكون مصيراً حتمياً للأشياء والمجودات، ولكنّه يظل في بعض الأحيان قراراً تصدره الطبيعة على البيئة والإنسان، أو تفرضه سلطة الإنسان على البيئة والإنسان كما تنقلها الرواية في وصف جبروت السوادي وسلطته القمعية للبيئة وللإنسان، وتمثلت "عندما بلغ هو ومن معه الوادي كان السيل لايزال يقذف حمماً من الماء ولا أثر لابنه، فهاج وماج، في هذه الأثناء انزلقت من أحد عبيده كلمة لم يسعفه سيف السوادي تذوق لحظة ندم، أو الاعتذار عنها بما يليق، فقد طار رأسه عالياً وسقط يرفس بجوار دمه الشاخب، حدث له ذلك عندما قال:

-لا بدّ وأن السيل قد التهمه منذ وقت مبكر.

وعندما وطأ اثنان منهم الوادي جرفهما السيل، ودفعهما أمامه كأغصان متآكلة، وظلت صرخاتهما تركض عكس اتجاه السيل دون أن تجد من يمد لها يد العون"[2]. في قدرة السيل على تحطيم معالم الطبيعة وبعضاً من البشر، في مقابل جبروت السوادي الذي يقتل ويدمر من أجل رغباته وأطماعه.

وتبرز ثنائية الموت والحياة في رواية جبل حالية، فكما سبقت الإشارة إلى أن النقد البيئي ينطلق من العلاقة الجدلية والحتمية ما بين الإنسان والطبيعة، فقد "رافق الموت عمر السروجي من لحظة ميلاده، فقد تنكّرت الحياة لأمه بمجرّد دخوله إليها، وكأنّما عاشت فقط، لتكون ذلك الباب الذي يلج منه. لم ينس الصخب الذي ملأ بيتهم قبل أن يعرف أنّ جده عمر مات. كان في الخامسة من عمره...يكاد يفقد الأمل في لقاء من تأمّل لقاءهم من الراحلين" [3] ويبقى جبل حالية الذي يصارع الموت والحياة ويربط أهل القرية بموتاهم من حين لآخر، وهي علاقة متبادلة بين الإنسان والطبيعة. حتى آسيا حبيبته سبقته إلى الموت، ثمّ لحقتها جدته فضة، ثم أبيه، حتّى أصبحت القرية خاويةً من الأشخاص الذين أحبّهم، وبقي الجبل شاهداً على حكايات الموت التي يحتضنها وينسج قصص الشوق للأحياء. بينما " المدينة كعادتها في هذا الوقت، الأضواء تمزق وجه الظلام، السيارات لا تزال حركتها ظاهرة في الشوارع، واللوحات الإعلانية تواصل

(1) هلال، عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، ٢٠٠٥، ص١٣.

(2) خال، عبده، الموت يمر من هنا، منشورات الجمل، بيروت، ط1، ١٩٩٥، ص٨٤-٨٥.

(3)الألمعي، إبراهيم، جبل حالية، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ط1، ٢٠٠٩، ص٢٤-٢٦.

وميضها المزعج. الناس يسيرون على الأرصفة يتحدثون ويضحكون، هذه المدينة اللئيمة لا تتأثر لموت آسية، ولا تشاركه أحزانه، ولا تعبأ بمشاعره. في السورجة يبدو كلُّ شيءٍ حزيناً..لماذا تبدو المدينة بهذه القسوة، لا تتعاطف مع المحزونين، ولا تتألم للمتألمين؟! تحولت أشجار الشوارع الخضر بالأمس إلى أشباح تحدّق تجاه عمر...كيف لهذه المدينة اللئيمة أن تشعر بموت آسية؟! إنّها صورة لموت المشاعر!"[١]. ويظهر هنا قوّة ارتباط الإنسان بالبيئة في القرية، وامتزاجه بمعالمها الطبيعية، بعكس المدينة التي لم يألفها إما لكونه دخيلاً جديداً عليها، أو ربما لكونها تمتلك نظاماً بيئياً مغايراً لما اعتاد عليه في القرية، من ناحية المسكن والطرقات والأشجار والنمط المعيشي الذي يختلف تماماً، ويتمثل النفور من وضع المدينة في تعبيره عن المعالم الحديثة فيها بقوله:" أمست العمارات كصناديق الأطعمة الفاسدة، تنفث رائحةً عطنةً لا تطاق، والشوارع سراديب خانقة بلا نهايات"[٢]. فهو يُسقط على المدينة غضبه لعدم مشاركتها له مشاعر الحزن، ولكونها المتسبب في ابتعاده عن محبوبته آسيا في حياتها وبعد مماتها.

أ–١– وتندرج تحتها عدد من الثنائيات المترابطة كثنائية الصمت والكلام والأمن والخوف والانفتاح والانغلاق باعتبارها تمثلاً رمزياً للثنائية الكبرى (الموت والحياة) وهي ثنائية يشترك فيها الإنسان مع البيئة، حيث الصمت يوازي الموت، والكلام يوازي الحياة، فالموت هو الانبثاق الفجائي للصمت الأبدي، وعند الموت يصاب الكلام بالاختناق، ويتبدد في الصمت، حيث أنها ثنائية كونية في معاناة الإنسان مع البيئة وتتجلّى رمزية الصمت في رواية عبده خال "الموت يمر من هنا" حيث ينقل لنا حالة الصمت الذي تستظل به القرية وحياتها البائسة بسبب الصمت "إن أقرب ما يمكن إلحاقه بهذه القرية هو الصمت. فهي قرية صامتة لا يحرك سكونها إلا الحكايات، والغرباء حتى أن الغرباء غدو مطراً يستسقونهم حين يصلون صلاة الاستسقاء، أولئك الغرباء الذين يفتحون لهم كوة يرنون من خلالها إلى أبعد من قرية سوداء، وحقولها الضامرة، وتعبها المزمن، لذلك فهم يحيطون بالغريب إحاطة السوار بالمعصم، ويسلمونه آذانهم خارجين عن تأوهاتهم لبعض الوقت، وعندما ينهي الغريب حكاياته يعاودن الاحتزام بتعبهم، وينسلون إلى مخادعهم بتثاؤب متوتر وحلم فاتر"[٣]. يعكس في هذه المقطوعة قيمة الصمت بالنسبة للقرية التي تمضي على وتيرةٍ واحدةٍ، فالصمت نتيجة للخوف والانغلاق

(١) الألمعي، إبراهيم، جبل حالية، ص٨١.

(٢) المصدر السابق، ص٨١.

(٣)خال، عبده، الموت يمر من هنا، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص٩.

على الذات جعل الحياة رتيبة، والأرض جدباء عقيمة، يومها كأمسها، فالبيئة تحتاج للتجدد والحركة والحياة والكلام وتبادل الخبرات والمنافع بما ينعكس عليها بالنماء والازدهار، والصمت هنا يقتل الحياة الصاخبة والحركة، ويخلق التوتر في العلاقات العامة بين أهل القرية، إنه نتيجة واحدة لموقف فاشل، وتجربةٍ لم تنجح، أما الكلام فيأت من خارج القرية مع الغرباء، بعد أن تكون القرية متعطّشة للكلام، وبعد أن جعلها الصمت في مرحلةٍ من التعطش للحديث مع الغرباء كحاجة الأرض للماء بعد الجفاف، وهنا تبرز علاقة الإنسان المتبادلة مع البيئة، فالصمت عقوبة للبيئة والإنسان نتيجة الخوف من الموت، بسبب الأوضاع القمعيّة التي يمارسها السوادي على أهل القرية، وسحق حقولهم وتدميرها، وقتل كل من تسوّل له نفسه بالحديث عنه بسوء أو محاولة النيل منه بسوء، مما جعل دخول الغرباء كالأمل في الحصول على فجوة للهروب من خلالهم كما تتأمل الأرض في هطول المطر لترتوي بعد عطشٍ شديد. ومن هنا نستنتج أن الصمت هنا نتيجةً للقمع الذي يعاني منه الإنسان، وتوابع هذا القمع أضرّ بالبيئة والمخلوقات، مما يجعل الحياة تختنق وتموت ببطء، حتى أنَّهم يصلّون لطلب الماء والغرباء كي تدب الحياة في الحقول وتتجدد الروح بين أهل القرية. والصمت هنا يقتل الحياة الصاخبة والحركة، ويخلق التوتر في العلاقات العامة بين أهل القرية، إنه نتيجة واحدة لموقف فاشل، وتجربةٍ لم تنجح، أما الكلام فيأت من خارج القرية مع الغرباء، بعد أن تكون القرية متعطّشة للكلام، قد سئمت الصمت المزمن الذي يكاد أن يجعل الحقول ضامرة، وبقدر ذلك الشغف للكلام، إلاّ أنهم يعودون إلى كهف الصمت الذي اعتادوا عليه، ويبدو أن الصمت ينبثق عنه دلالة أخرى وهي الغضب وعدم الرضى، غضب الإنسان من القمع، وغضب الأرض الذي عبّرت عنه بالجفاف والجدب، وكأن السماء قد أمسكت مائها عن قصد، والإنسان شارك الأرض غضبها، ولم يساعد بالعطاء والأمان، لتزهر الحقول وتتدلّى الثمار وتعمّ الحركة والثناء والسرور.

وظهرت ثنائية الموت والحياة في رواية الحزام التي تمثلت في قيمة الكلام وهو الغناء الذي يعبر به أهل القرية عن انتمائهم للبيئة باعتبارهم أحد مكوناتها فيقول: " روت أمي يوماً أن قريتنا كانت في البدء أغنية فريدة... وأن الكلمات التي يمنحها الناس طاقة شعرية، تطير كالفراشات...هذه الكلمات الشعرية تجد فيها أفضل مكان للتباهي بمكنوناتها، ولكي تضيء العالم... كلّنا شعراء كانت أمي تقولها دائماً: الأشجار، النبات، الزهور، الصخور، الماء...إذ يكفي أن تصغي للأشياء لكي تسمعها تغنّي... امتزجت

أصوات غنائهم بالأرض مثل السماد وعليك أن توقن بأن هذه الثروات الطبيعية التي نسمع عنها ليست إلا ثمرة هذا التوحّد. هنا يولد الأطفال وهم مبللون بالغناء، يمتزج بأجسادهم."[١]. فالبيئة هنا تنطق بالغناء، وتشارك الإنسان التعبير عن وجودها، فالإنسان يتحدّث أحياناً ليرتاح، والشجرةُ حديثها في عطائها، وحديث الحيوانات بأصواتها المختلفة، وحديث السماء في انهمارها، وهكذا تقوم الحياة. أما الصمت رديف الموت والجمود ورفيق القبور.

أ-٢- تنبثق على إثرها ثنائية الجدب والخصب، التي كانت موازية لصمت أهل القرية، وحديث الغرباء، فهل كان صمت أهل القرية سبباً للجدب الذي تعاني منه أرضهم؟، وهل لحديث الغرباء علاقة في خصوبة أرضهم؟! ربّما نجد تفسير ذلك في قوله:" وفي مواسم الحصاد تزدحم القرية بأولئك الرحل الذين يمتلكون سراً غامضاً، وقامات مديدة، ونساء جميلات ...وثلة منهم يدورون بأدواتهم، ويعرضونها للبيع متساهلين بالثمن الذي يدفع إليهم، وفي المساء يبيعون الحكايات على قرع الطبول... بتخاذلهم هذا غدت قريتهم قريةً مسكونةً بالأقاويل المكررة، والطموحات الآسنة"[٢] ، ربّما يشير الأديب إلى ضرورة الانفتاح على العالم الآخر، فهو يحارب الانغلاق على الذات الذي يجعل الإنسان عدو نفسه وأرضه، لأن الانفتاح يوسع دائرة تبادل الخبرات والمنافع مع الآخرين، من أجل حياة أسهل وبيئة تزخر بمعارف مختلفة ، وتبادل الحل للمشكلات البيئية والإنسانية التي قد يصعب على مجتمع دون الآخر الوصول للحل. ومن أبرز المستفيدين من هذا الانفتاح "الأرض" حيث تأتي إليها محاصيل جديدة ، وتصبح متعدّدة العطاء ،وتكثر المساحات الخضراء ، مما يعود بالنفع على الإنسان والحيوان والهواء والغذاء، وهذا ما نلمسه في قوله الكاتب: " قبل سنين خلت كانت الأرض غدقةً تمنحهم ثمارها، وتزين مراعيها بعشب وفير، وتجري المياه في قنوات الحقل دون انقطاع، وفي مواسم الحصاد تزدحم القرية بأولئك الرحل ... حاملين الأدوات الغريبة مقايضين بها قمحاً، وسمسماً، وفولاً ،وقطنا..."[٣] وبهذا يصل إلى نتيجة مفادها أن الانفتاح على الآخرين، وخلق أجواء من الحركة والمرونة في تقبل تواجدهم والاستفادة من خيرات أرضهم، وصناعاتهم وآلاتهم التي تساعدهم في زراعة حقولهم ،تعتبر مجالاً للتنافس الذي يعود على بيئتهم وحياتهم بكل ازدهار ونماء، بعكس الانغلاق الذي نشأ

(١) أحمد، دهمان، رواية الحزام، ص٥١

(٢)خال، عبده، الموت يمر من هنا، ص١١.

(٣) المرجع السابق، ص١٠.

بالخوف من حكايات فارغة يراها الأديب " كشعر عجوز شمطاء ركنت لنهش السل، والقحط والخوف ، وافترش جسدها الجدري، والجذام، ...لا تملك إلا الأنين الخافت دافعةً عن نفسها الأوبئة بالتناسل..."[1]. فكأنّه يجعل سبب جدب الأرض وجفافها هو الخوف والانعزال الذي زرعته الحكايات المهترئة، وظلّت تتناقلها جيلاً بعد جيل، وكأنها عجوز تعالج أمراضها بكثرة الإنجاب، بدلاً من أن تعالج مشكلتها الحقيقية.

أما في رواية مدن تأكل العشب لعبده خال، يجد أهل القرية أن الجدب سبباً في تكبيل حركتهم حيث يوضح الوضع الذي يعانيه أهل القرية ومن ثم يلقي باللوم على الجدب الذي كبّل حركتهم، وتمثلت صورة الجدب كما يلي " حط الجراد على تلك الأشجار اليابسة المتناثرة على مفترق القرية، وجرى نهار قائض بين حقول احتضنت غبارها وتشققاتها منذ فترة ليست قصيرة، وتحت عرائش منصوبة على جنبات الحقول، جلس الفلاحون يحتسون الشاي بملل...وصبايا أخذن ينقبن عن أي شيء بداخل الأرض الميتة... غمغمت فاطمة بتذمر:

-بالله عليك هل يجدي الصبر مع هذا القحط؟ مضت أيام ونحن نخرج ولا نعود إلاّ بالحطب اليابس الذي امتلأت به البيوت وكل واحد منا يطمع أن يشتري منه الآخر، بينما لا يوجد شيء يحرقه هذا الحطب...

زفر جبريل وهو يتناول كأس الشاي الغامق:

-القحط أكل كل شيء حتى حركتنا...

-ليس أمامنا سوى الانتظار.

-لقد مللت."[2].

وهنا يعزو أهل القرية حالة الخمول والركود التي تخيّم على القرية إلى حالة الجفاف والجدب، فالعلاقة بالبيئة علاقة متبادلة تمثلت في موت الأشجار وتحولها لحطب يابس، وتشقق التربة لشدّة الجفاف الذي تعانيه، وبالتالي انعكس ذلك على الإنسان الذي بدأ يعاني من تبعات ذلك الجدب ولم يكن لديه خَيار سوى الانتظار.

ب-ثنائية الأنا والآخر

ولعل ما سبق يجعلنا نقف على ثنائية كبرى تمثلت في "الأنا والآخر" باعتبار الأنا قطباً موحداً للتجارب، وظهور الأنا كظاهرة متعالية، في مقابل الآخر الذي يبدو

---

(1) المرجع السابق، ص١٢.

(2) خال، عبده، مدن تأكل العشب، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٦٨-٦٩.

موجوداً ضمنا في الواقع وفي صميم هذا الواقع، وإن كانت الفلسفات المحددة للآخر غير متجانسة، إلا أنها تكاد تتفق على وجود مسافة بين الأنا والآخر.[١]

وعندما نتتبّع هذه الثنائية في الرواية السعودية نجد "الأنا" تتمركز في الذات الإنسانية في مواضع شتّى، ثمّ تتساوى مع "الآخر" الذي يتمثل في المحيط البيئي تارةً أخرى، فقد يُسْقِط الإنسان على الطبيعة أسباب فشله وأحزانه ويجعل منها عدواً له، أو يتّخذ منها ملجأً ومأوى لتكون ملاذاً وصديقاً له.

تتجلّى هذه الثنائية في رواية فخاخ الرائحة في شخصية طراد حيث كانت "الأنا" لديه في أعلى سطوتها وجبروتها مع الطبيعة والمخلوقات، فقد سخّرها لشهواته ورغباته ، دون وعي بعواقب تلك السلوكيات التي تجرّع مرارتها نهاية المطاف، يروي ذلك عن نفسه" في صغري كنت أصطاد أرنباً برياً أو أكسب بهيمة، ثم أمزع أعضائها كما تفعل الذئاب، وأشعل ناراً في سواد الليل الحالك، أشوي ما يسد جوعي، وأنهشه بأنيابي الحادة، بينما أرى في البعد ذئبةً تقود أولادها تروح وتعود... كانوا يروونني فارساً شجاعاً لا أهاب شيئاً...سلاحي آنذاك قلبي الشجاع ، ونظراتي الحادّة مثل صقر يقيس الفرائس، ويديّ اللتين أجندل بهما ما أصيده أو أسرقه في الليل...نعم إنها كسبي، لأني كسبتها بذكائي وحيلتي وشجاعتي، وتفوقت على الآخرين الذين يملكونها وهم لا يستحقونها"[٢] .تظهر الأنا المسيطرة لدى طراد في قمّة تجلياتها، فرغباته وحبّه للتملك نمت في داخله منذ الصغر فجعلته يتصرف بهذه القسوة مع الآخر، حتّى لو كان من بني جلدته، إنّه يراه مخلوقٌ من أجله، وبمجرّد الحصول عليه فليس له حق الاعتراض أو المقاومة، وإلاّ فمصيره القتل. وهو يتعامل مع الطبيعة بحسب حاجته لها، فمرّة يحتمي بها وتارةً يهاجمها بقسوة " ذات ليلة صيف كنت اتخذت من شجرة عوشز ملاذا بعد أن مللت انتظار أن ترد قافلة مسافرين أو حجاج، وبعد ليال ثلاث من الترصد، لمحت عن بعد رجلاً يقود بكرة حمراء تتبعها ثلاث شياه...وما أن تجاوز مكمني حتى تبعته بخفة وباغتُّه من الخلف وقد أحكمت ذراعي حول عنقه، محاولاً أن أطرحه..."[٣] وهنا تظهر الأنا الطاغية لدى طراد، حيث اتخذ أسلوب الهجوم نحو الآخر الذي تمثل في الطبيعة ليطوّعها فتعامل معها من مبدأ "الأنا" التي لا تعرف سوى ماذا أريد؟ وكيف أحصل عليه

(١) سارتر، جان بول، الكينونة والعدم بحث في الانطلوجيا الفينوميونولوجية، تر: نقولا متيني، مراجعة د.ع العزيز العيادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص١٦٥ – ٣١٧.

(٢) المحيميد، يوسف، فخاخ الرائحة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣، ص٤١-٤٢.

(٣) المحيميد، يوسف، فخاخ الرائحة، ص٤٣-٤٤.

بأي طريقة كانت؟ في حين أنه احتاج الشجرة لتؤويه واستفاد منها في التخفّي. ونلاحظ انعدام الوعي البيئي في صورة الأنا المتمثلة في شخصية طراد وهو انعكاس للوعي في الوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه وعلى يديه.

تنعكس الأدوار عندما تقرر الطبيعة معاقبة طراد وصديقه نهار، عندما أصبحا سجناء التراب، وتحت رحمة الذئب الذي لم يتنازل عن أكل رأس نهار، وقطف أذن طراد اليسرى ليعيش موسوماً بها طوال حياته. حينها تذكر طراد "علاقته مع الكائنات النبيلة حوله، سخر من الرمل، وأهان الأودية، وجز العواشر والطلح، وقتل الذئاب الجائعة اللاهثة...، كانت الأفكار تصطخب بعنف داخل ذلك الرأس النابت من الرمل. الرمل الذي انتقم لكرامته وجثم بثقله فوق جسد طراد، حاصره من كل ناحية حتى لم يستطع حراكاً. شجيرات الشّلفح تتمدد بكبرياء وهي تتثاءب ساخطة على طراد الخائن للشجر وللشعبان وللخباري وللفياض وللذئاب" [1] وهذا إقرار صريح على قسوته وتسلّطه على الطبيعة، وكأنه يعلم بمدى الأذى الذي سيناله عندما تتمكن الطبيعة منه، وبالتالي عاقبته الطبيعة بنوعيها الجامدة والمتحرّكة.

ولذلك كان إيمان الإيكولوجيين بأنّ أزمة البيئة هي في عمقها أزمة أخلاقية [2] ولا يكفي إدراك مشاكل البيئة أو التعرف على مكوناتها، بل لابد من إعادة تأسيس أخلاقيات جديدة ووعي جديد. إن مهمة الفلسفة البيئية هي تعليم الإنسان كيفية التعامل مع الطبيعة، وإدارة العلاقة بينه وبينها على أساس أخلاقي؛ لأن تلك العلاقة هي التي ستنعكس فيما بعد على الإنسان، وتؤثر في علاقاته بينه وبين بقية البشر، وهذا السعي من طرف الفلسفة البيئية إلى إعادة تأسيس العلاقات بين الإنسان والبيئة، والذي يعتمد على التكافل خاصة، هو الذي يقود البشرية إلى حماية البيئة والحفاظ عليها [3].وهنا يظهر الوعي البيئي لدى الكاتب حيث قوبلت قسوة طراد ونهار على الطبيعة بعقاب ضمني أو ظاهري تمثلت في سجن التراب لجسديهما، وانتقام الذئب منهما بقسوة.

تتمثل ثنائية الأنا والآخر [4] في رواية (مدن تأكل العشب) لعبده خال حيث تكمن الأنا في الإنسان الذي صنع من المدينة فضاءً لعبثه بالطبيعة التي تمثلت في القرية والأطفال، فالأطفال الذين هم أصدقاء البيئة، ويشتركون معها في مسالمتهم والتعامل

(1) المحيميد، يوسف، فخاخ الرائحة، ص٨٧.

(2) ديكنسون، جون. ب، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، تر: شعبة الترجمة باليونسكو، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أبريل، ١٩٧٨، ص٢٠٤.

(3) دويدري، رجاء وحيد، البيئة مفهومها العلمي وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٥٠.

(4) تجدر الإشارة إلى أن ثنائية الأنا والآخر تمثلت في رواية الموت يمر من هنا لعبده خال.

معها بحدود قدراتهم البسيطة، نجد الإنسان يستغل هذه الطبيعة ويجعل من المدينة وكراً لقطف براءة هؤلاء الأطفال، والعبث بأيامهم وأكل كسبهم وتعبهم والتحايل من أجل راحته، تمثل ذلك في قول طاهر:"

المدينة تعلمك القذارة.

هكذا كان يقول طاهر، ولم أعرف أي قذارة يعني....

يقسم –طاهر– أنّ أبا الزين.... كان يجمع المعدمين ويسخرهم لخدمته بمبالغ زهيدة، فجمع حوله نفراً نفضتهم الغربة على أطراف المدينة. أولئك النفر الذين حوّلوه لحوت على اليابسة. عملوا معه وسفكوا أيامهم من أجله فابتلع كل مدخراتهم وكان يعدهم بالأماني العذاب.

في أوقات كثيرة كان–طاهر– يتسلل إلى بعض ممتلكات أبي الزين فيعقرها إن كانت دواباً ويتلفها إن كانت قوارب"[1].

تتمثل الأنا في سلطة الإنسان في الذي يتعامل مع الإنسان بمبدأ الاستغلال وسلب حقوقه وطفولته، فالمدن ترمز إلى الإنسان الجشع، والعشب يرمز إلى أطفال القرية، فالطفل يحي كان ضحية لسلطة طاهر الذي سلبه طفولته، وجعل منه أداة للعمل والإنتاج دون مراعاة أو رحمة. وقد تعدّت سلطته إلى البيئة المحيطة كما تمثلت في النص من قتل للدواب، وتخريب للسفن والممتلكات، وبالتالي سيصل الأذى للمنظومة البيئية، وتكدس النفايات التي تخلّفها أعمال التخريب.

تتمثل الأنا كذلك في فعل جدّته التي كانت أول من ساهم في سلب طفولته حيث يروي ذلك بقوله:" بدأت جدتي بأول خطوة وأسلمتني للطريق، وتركتني غصناً أخضر فحننت لأي قلب يزرعني بداخله؛ حننت لأي يد تعيدني لشجرتي البعيدة"[2] وهنا نرى مدى انتماء الأطفال للطبيعة، وهو يصف معاناته من الغربة وضياع هويته التي كان من السهل أن تُزرع في أي مكان وتتشكّل بحسب المكان الذي ستنشأ فيه.

وفعل الجدّة هذا مقروناً بالأنا التي تمثلت كذلك في شخص" جمال عبد الناصر" حيث عبّر عن ذلك يحيى بقوله:" كنت أظنه يسعى لعودة الغرباء إلى ذويهم، وأنّه إحدى الشخصيات الأسطورية التي تخرج في يوم عاصف مطير لتدل التائهين على الدروب الصحيحة...بينما كان يسعى لتوحيد التراب...، وبينما كانت دماء ضحاياه تسيل في

(1) خال، عبده، مدن تأكل العشب، ص١٣٥-١٣٧.

(2) خال، عبده، مدن تأكل العشب، ص٩

الشوارع....، ونحن كالماشية نسير وفق عصاه التي تهشنا إلى هناك...جمال شخص لا يعرفني وعرفته فلاحاً زرع في مخيلتنا الأماني، فأحببته، وعندما طالت نبتته في أعماقنا كان الزرع مصفراً، وهب كريح صرصر اقتلعنا من حياتنا وكان سببا رئيسياً في خسارتي ولوعتي ووحدتي. قام بتقليم شجرتي العائلية وتركني غصناً يابساً مقذوفاً في الغربة، يذكرني بالسيل الذي كنّا ننتظره بقريتنا كي تنهض على ممشاه حقولنا التي جرى في أوديتها الجدب والغبار، كانت حقول مغبرة تنتظر فقط أن تمطر السماء وتتجمع في ذلك الوادي الميت منذ سنوات لتروي جدبها حتى إذا جرى الماء ونهضت الحقول مرحبة بمقدمه جرفها عنوة ولم يكترث بأهازيجها ورقصاتها المعدّة لاستقباله" [1] تمثلت الأنا القمعية في أطماع جمال عبد الناصر وطاهر الوصابي، وتعسف جدته وقسوتها الغير مبررة من وجهة نظر يحيى الغريب، حيث يُسْقِط عليهم أسباب التيه والضياع التي عاشها متشرّداً عن أمه وأخوته باعتباره الآخر الذي يرى نفسه من خلال البيئة كغصنٌ أخضر مقطوع ، وهو القرية التي تنتظر الغيث ليرويها، فما كادت ترتوي وتغتسل من الغبار حتى تحوّل المطر إلى سيلاً جرفها دون اكتراث ولا رحمة.

ثانياً: الموقف من البيئة:

مرّت علاقة الإنسان بالبيئة بمراحل تاريخية تطورية نتج عنها تدرّج سلبي في حالة الوضع البيئي فكلّما تقدم التاريخ البشري للأمام، إلا وتوسّعت دائرة استغلال عناصر البيئة مما أدى إلى تدهورها وذلك لكونها المجال الذي يمارس فيه الإنسان حياته ونشاطه، ولكونه جزءاً من هذه البيئة، ويشكّل حلقة من حلقاتها المترابطة. وباعتباره أحد عناصر البيئة الطبيعية وجب عليه أن يكون عاملاً إيجابياً في تأثيره على البيئة، لأن التأثير يبقى متبادلاً بين الإنسان وبيئته [2].

يتشكل الموقف من البيئة في الرواية السعودية مع التصور الثقافي الذي يعتبر المسؤول عن تحديد علاقة الإنسان بالبيئة وتقنينها، وهذا التصور الذي يترسّخ عبر أشكال عدّة مثل الدين والفلسفة والوعي لأن الثقافة هي العلاقة العضوية التي تربط بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة الاجتماعية [3] فنجده قد يتكيف مع الواقع أو يحاول تعديل

---

(1) خال، عبده، مدن تأكل العشب، ص٩-١٠

(2) لحفيظ، عماد محمد، البيئة: حمايتها تلوثها، مخاطرها، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ص١٧؛ وينظر: النجار، عبد المجيد، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز البحوث والدراسات، قطر، ط٢، ١٩٩٩، ص١٩٤؛ ينظر كذلك: رهوم، نسيم، وآخرون، المدخل إلى الجغرافيا البشرية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ص١٥؛ وينظر أيضاً: سرحان، نظيمة، منهاج الخدمة الاجتماعية لحماية البيئة من التلوث، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥، ص٤٥.

(3) المنزلاوي، ياسين عبد الله، البيئة من منظور إسلامي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٨، ص٢٣-٢٤؛ وينظر: عكاشة، شايف: الصراع الحضاري في العالم الإسلامي (مدخل تحليلي في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٩٣، ص٧١.

البيئة المحيطة به أو يرفض المحيط البيئي الذي يعيش فيه ويبحث عن محيط بيئي آخر. ويتخذ الموقف من البيئة أشكالاً عدّة منها:

أ- الترابط

ترتبط عناصر النظام البيئي بعضها ببعض، فالكائنات الحيّة تسعى إلى التفاعل مع المكونات الحياتية والطبيعية للبيئة التي تعيش فيها من أجل البقاء ولذا غالبا ما تتصف النظم البيئية بالتعقيد؛ لأن عملية التفاعل التي تقوم بها الأحياء تشكل أنماطاً حياتية تتباين مكانياً وزمانياً، وهذا التباين يفضي في المحصلة النهائية إلى ضرب خاص من التنوع الاحيائي، الذي يجعل من النظام البيئي سلسلة مترابطة من التفاعلات بين الكائنات الحية. وطالما أن النظام البيئي الواحد مكون من مجموعة حلقات مترابطة ببعضها بشكل دقيق، فأن فقدان أية حلقة من هذه الحلقات لأسباب تتعلق بتلوث أو تدمير موطن طبيعي أو تدهور بيئي، يقود حتماً إلى اختلال توازن الطبيعة ووقوع مشكلات بيئية عديدة فالنظم البيئية تشمل حيزا واسعاً من مستويات التنظيم والتفاعل ما بين الأحياء تبدأ من أصغر مستوى (الذي يتمثل بالخلية) وينتهي بأكبر مستوى الذي يتمثل بكوكب الأرض بأكمله (أو ما يسمى بالغلاف الحياتي) [1].

وبصورة أكثر وضوحاً، لابد أن يدرك الإنسان مدى ارتباطه بغيره من المخلوقات على هذا الكوكب وأن يصحح الأخطاء التي ارتكبها بحق البيئة، من حيث حتمية الوصول إلى قناعة حقيقية، بأن صحة البيئة هي في الحفاظ على سلامة كافة مفرداتها والحفاظ على جميع مخلوقاتها، وأنه ليس أحق بالحياة أكثر من أي كائن آخر، وعليه أن يتوقف عن النظر بدونية إلى بقية المخلوقات؛ لأنه ليس أفضل منها في حق البقاء.

نجد تأثير الوضع البيئي في بيئة الرواية لدى عبد العزيز مشري، الذي كتب عن الرياح الموسمية، وارتباطها لدى أهالي القرية بنزول الأمطار، ومن ثم ارتواء الأرض واكتسائها ثوباً أخضر يسرّ الناظرين: "جاءت الرياح الموسمية.. فاستيقظت الفرحة، وجهز أحباب الأرض وسائلهم للوسمية.. فيها: موسم الزرع، فيها: موسم المطر، وفيها نتاج ما يفلحون، وما يعرقون"[2]. من خلال هذه المقطوعة نلاحظ مدى ارتباط الرياح الموسمية بسلسلة من النتائج التي تترتب عليها، ابتداءً بالهواء الذي يحرّك

(1) ينظر: الحسن، شكري إبراهيم، مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها، دار المعارف المكتبة الجامعية، البصرة، ط٢، ٢٠١٩، ص٣٣-٣٧.

(2) مشري، عبد العزيز، رواية الوسمية، دار أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ط١، ٢٠١٨، ص٥.

السحب لتتجمع وتتكاثف، إلى أن تمطر وتسقي الإنسان والحيوان والتربة وبالتالي تدبّ الحياة والحركة في هذه القرية لتكون البيئة في أوج نشاطها الزراعي والاقتصادي وصولاً إلى الاكتفاء الغذائي والحيواني، وهكذا حتى موسم آخر. وارتباط ذلك كله بحيات أهل القرية والشخصيات وأنماط الحياة، فالإنسان أصبح جزء من هذه الدائرة، حيث إنه يمثل حلقة في سلسلة مترابطة ضمن عناصر النظام البيئي.

ب- التعايش.

لكي يتواجد الكائن الحي ويستمر بالبقاء، فلابد من وجود بيئة تحتضنه وتمده بأسباب العيش. كذلك لابد من العمل على أسباب استمرار أعمال التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمل على التنمية الأيكلوجية التي تنتج الثروة الحيوانية وتوفر الظروف المناخية اللازمة لاستدامة الحياة على كوكب الأرض، والتنمية المجتمعية والتي تنتج مجتمعات وأسر متعلمة ومتنورة ومسؤولة عن المواطن والمدينة ذاتها لتحقيق الإستدامة التي هي تأسيس برنامج عمل إصلاحي يبدأ من توعية الفرد بنتائج سلوكه مع البيئة، والعمل على الإصلاح لمشكلات البيئة ودراستها، حتى لا يتم تدمير الأنظمة الأيكولوجية، والمجتمعية كالمدن والقرى والأسر. فكل نوع بيولوجي يشغل مكاناً محدداً في النظام البيئي بسلوكياته الغذائية والتكاثرية والإقليمية، والانسان يحاول أن يتكيف مع بيئته الطبيعية حتى وإن كانت هذه الطبيعة لا تتفق مع أهدافه، ولعل فهمنا للأنظمة البيئية يغرينا للتعايش معها [1].

ومن خلال قراءتنا للبيئة في الرواية السعودية نلاحظ أنها تمتلك أكثر من نوعٍ بيئي، ولكلٍ منها نظام خاص ومختلف عن الآخر، وكلّ بيئة يعيش فيها الإنسان، فإنه يتعايش مع تفاصيلها وتكون له سلوكيات خاصّة تختلف عن السلوكيات التي يمارسها الآخر في بيئة أخرى.

فالنظام البيئي الصحراوي تكون موارد الماء فيها قليلة، وتتفاوت فيها درجات الحرارة بين الليل والنهار، والصيف والشتاء، وبالتالي ينعكس ذلك على الغطاء النباتي فيكون نادراً ومتناثراً، وأحيانا تكون عارية تماماً من ذلك الغطاء، ومن هنا يمكن ملاحظة تكرار ثيمات كبرى في عدد من الروايات التي كانت الصحراء بيئتها المهيمنة، نحو القنص والتنقل من أماكن الجفاف صوب الواحات بحثاً عن الماء والخضرة

(1) حول هذا الموضوع ينظر: الخولي، أحمد عثمان، مفهوم النظام البيئي المتكامل، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١١٢-١١٣.؛ كذلك: صباريني، رشيد الحمد، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩، ص٦٤.

وغيرها، وفي رواية قنص على سبيل المثال نجد فكرة التعايش واضحة بصورة جلية مع شخصية فرحان الذي يرى" أن متعته الحقيقية، ألا يعيش عالة على الصحراء نفسها. ألاّ تغدو حيواناتها ومياهها وظلالها هدفه ومدار حياته. المهم هو أن يتعلم فيها الصبر على العطش والجوع بنفس القدر الذي اكتسبته الوحوش ليبقى مثلها قويا في البرية. أن يتعلم الصمت كالقنفذ، والتخفي كطائر السمان، والانقضاض في اللحظة المناسبة كالوشق" [١].

بينما يختلف نظام الأرض المزروعة عن الأرض الصحراوية وبالتالي تختلف طريقة أهلها في التعامل مع البيئة فالإنسان عندما يزرع قطعةً من الأرض فإنه في الواقع ينشئ نظاماً بيئياً متكاملاً ومتوازناً، ولكنه يتدخل في مكوناتها بطرق شتى، من تسميد واستخدام مبيدات واقتلاع الأعشاب غير المرغوبة وطرد الحيوانات التي تأتي لتأخذ موقعها في إحدى سلاسل الغذاء، وغيرها من الممارسات التي يهدف منها إلى تحسين غلة الأرض.

ظهرت بيئة الأرض المزروعة في أكثر من موضع في الروايات المدروسة، وبالذات في القرى التي يعمل سكانها على استصلاح الأراضي بالزراعة لأنها مصدر الغذاء الرئيس، حتّى أنّ الزراعة بالنسبة لهم لها قدسيتها الخاصة وطقوسها التي جعلت من الأرض صديقةً لهم وموطناً لأفراحهم وأتراحهم كما ظهرت في رواية الحزم حيث يصف الراوي ذلك التعايش بقوله:" لكل نشاط في القرية غناؤه الخاص. لا أحد يعمل شيئا دون أن يغني...ولأن قريتنا هي بالتأكيد، الأقرب إلى السماء ...هكذا قامت الحياة هنا، منذ أن استنبت أجدادنا أول الحقول. امتزجت أصوات غنائهم بالأرض مثل السماد، وعليك أن توقن بأن هذه الثروات الطبيعة التي نسمع عنها ليست إلا ثمرة هذا التوحد"[٢].

كذلك البيئة الساحلية لها نظام بيئي خاص، وهي مناطق تلتقي فيها اليابسة مع الماء، لتشكل بيئة مميزة ذات تنوع حيوي كبير مليء بالطاقة، وتعتبر الأنظمة البحرية هي أكثر الأنظمة البيئية ثباتا، وتدخلات الإنسان فيها لم تصل لدرجة الإخلال والإرهاق لأنها واسعة المدى، كثيرة الموارد الغذائية والحيوية [٣]، والمناطق الساحلية في الرواية السعودية تتمثل في رحلات الصيد البحري التي تمتد لأشهر؛ من أجل الحصول على مخزون غذائي لبقية شهور السنة، تجلّى ذلك في رواية (غواصو الأحقاف)، التي عرف أهلها برحلات الغوص "ففي الغيبة الطويلة سيقطعون بركائبهم الجزيرة العربية من

(١) العصيمي، عواض شاهر، رواية القنص، ص٨.
(٢) أحمد، دهمان، رواية الحزام، ص٥١.
(٣) صباريني، رشيد الحمد، البيئة ومشكلاتها، ص٨٠.

جنوب نجد للحسا، ومن ميناء العقير للبحرين ينيخون بالشط أسماءهم بحمولاتها ويعرضون على النواخذة عافيتهم وخبراتهم ليضموهم لرحلات الغوص، وإن لم تخطفهم مخالب الموت في الصحراء أو في الماء فلن يعودوا قبل ثلاثة أشهر"[1]. فالصيد نموذج آخر من نماذج التعايش مع البيئة، وفيه يظهر تكيف الصيادين مع طبيعة البيئة الساحلية التي قد تتطلب منهم رحلات طويلة، وعلاقات متنوعة ليست طويلة المدى (عابرة) يحكمها الهدف الأساس وهو الغوص والبحث عن مورد رزق. ف (الإنسان /الصياد) مطالب بالتكيف مع مسألة البقاء بعيداً عن بيئته وموطنه والتعايش مع بيئة أخرى (هي البحر ورحلات الغوص).

يتضح لنا من خلال الرواية السعودية ،أن كل نوع بيولوجي يشغل في نظام بيئي مكاناً محدداً بسلوكياته الغذائية والمعيشية وهو ما نسميه المكان الايكولوجي الذي يحل فيه الإنسان والكائنات الأخرى، ويدخل عليه تغييرات ليناسب نزوله فيه، ويؤدي دوراً مرتبطاً بالعلاقات التي يقيمها حوله [2]، فالإنسان باعتباره كائن يتجاوز نفسه باستمرار بواسطة فعله التاريخي لتحقيق المصالحة، والسعي نحو الحرية[3]،و ارتبط حضوره بفعله التاريخي داخل بيئته، باعتباره كياناً اجتماعياً واعياً، يوجد داخل محيط محتضن، وينجز أفعالاً وسلوكيات تؤثر على ذلك المحيط ، وتستقبل تأثيراته أيضاً. وبغض النظر عن السلبيات التي تكون نتاج سلوكياته العشوائية ، إلا أننا كما لاحظنا فإنه لكل بيئة طريقتها المعيشية التي تغلب عليها ، وتختلف على أساسها الطرق المعيشية من بيئة إلى أخرى، فأهل القرية مثلاً يعتمدون على الزراعة مصدراً رئيسياً للغذاء، أما المناطق الساحلية فكان اعتمادها على المنتجات البحرية مصدراً أساسياً، وأيضاً كانت أكثر المناطق التي يكثر فيها التقاء الثقافات من خلال السفن التجارية والسلع التي تأتي من مختلف البقاع وخاصةً السواحل الغربية، ولذلك كانت في مقدمة البيئات التي أصبحت تعتمد على الصناعة والتكنولوجيا، أما المناطق الصحراوية فاعتمد أهلها على الصيد و المنتجات الحيوانية بالدرجة الأولى ، والتنقل بحثاً عن الوفرة الغذائية في الصحراء. وهذا ما تؤكده الفلسفة البيئية التي تفسر اختلاف البيئات وتباينها بين الإنسان وبيئته يحكمها بالدرجة الأولى طبيعة البيئة من ناحية، وقدرات وإمكانات الإنسان من

(1) الفاران، أمل، غوّاصو الأحقاف، ص٧.

(2) عبد اللطيف، رشاد أحمد، البيئة والإنسان من منظور اجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٧، ص١٠١. وينظر كذلك: الأنطاكي، يوسف، سوسيولوجيا الأدب (الآليات والخلفية الابيستيمولوجية)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ،٢٠٠٩، ص١٧٦.

(3) Lucien Goldmann : structures mentales et création culturelle, Anthropos, ١٩٧٠, p : ١١٨.

ناحية أخرى، بل إن الفكر الايكولوجي يؤكد على أن المنظومة البيئية هي العامل الوحيد في نشأة وتشكيل الثقافة والنظم الاجتماعية، وأن الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية مردها إلى الاختلافات المتباينة في الظروف البيئية والجغرافية وتذهب هذه المدرسة إلى أن النظم الثقافية والاجتماعية تنشأ وفقاً للبيئة الفيزيقية [١].

ج- التكامل (التوازن البيئي):

هناك علاقة وثيقة بين النظام البيئي والتوازن البيئي وهما فكرتان متلازمان من الناحية العلمية، والإنسان جزء من نظام معقد يتفاعل معه ويؤثر فيه عن طريق المجتمع، من خلال ارتباطات وظيفية مستمرة بين عناصر البيئة الحية وغير الحية، وما يولده هذا التفاعل من توازن بين عناصر البيئة. والطبيعة البيئية تخضع لقوانين معقدة تؤدي في نهايتها إلى وجود اتزان بين جميع العناصر البيئية، حيث تترابط هذه العناصر بعضها ببعض في تناسق دقيق يتيح لها أداء دورها بصورة متكاملة. فالمواد التي تتكون منها النباتات يتم امتصاصها من التربة، ليأكلها الحيوان الذي يعيش عليه الإنسان، وعندما تموت هذه الكائنات تتحلل وتعود إلى التربة مرة أخرى، والعلاقة متكاملة بين جميع العناصر البيئية، فأشعة الشمس والنبات والحيوان والإنسان وبعض مكونات الغلاف الغازي تشكّل اتزاناً مستمراً، ومن هنا لابد من الحديث عن بعض الدورات لبعض المواد حيث تدخل وتسري في المكونات الحياتية والطبيعية ثم ما تلبث أن تعود إلى شكلها الأصلي [٢].

فالتوازن البيئي معناه قدرة الطبيعة على ضمان الحياة على سطح الأرض دون مشكلات أو مخاطر تمس الحياة البشرية، لكن الإنسان بلغ في تأثيره على بيئته مراحل تنذر بالخطر، إذ تجاوز في بعض الأحوال قدرة النظم البيئية الطبيعية على احتمال هذه التغيرات، وإحداث اختلالات بيئية تكاد تهدد حياة الإنسان وبقائه على سطح الأرض[٣] وهذا يعني أنه إذا ما تدخّل الإنسان في البيئة وأحدث تغييراً في خصائص عناصرها سواء من الناحية الكميّة أو النوعيّة تضطرب العلاقة بين عناصر النظام ويحدث ما نسميه الخلل أو فقدان الاتزان البيئي، وما ينجم عن هذا الخلل من حدوث العديد من المشكلات البيئية، ولعلّنا نلمس هذا الوعي في رواية(جبل حالية) عند عمر السورجي

---

(١) الشرنوبي، محمد عبد الرحمن، الإنسان والبيئة، مكتبة الأنجلو، مصر، د.ط، ١٩٧٦، ص١٣٦-١٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦.

(٣) George Lukacs: la théorie du roman, paris, Denoe¨l-Gonthier, ١٩٧٥, p :٣٤.

ينظر كذلك: سفاريني، غازي، وعابد، عبد القادر، أساسيات علم البيئة، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط٤، ٢٠١٩، ص١١٧.

وينظر: الفقي، محمد عبد القادر، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٢.

الذي لاحظ اختلال التوازن في طبيعة بعض الحيوانات بسبب بعض السلوكيات التي استحدثها الناس "ولن يتضرر لرحيل الإنسان إلاّ الحيوانات الأليفة التي أفسد الإنسان فطرتها، فأصبحت تعتمد عليه في المأوى والمأكل والمشرب، أو تلك التي يحبسها في الأقفاص، وفي أحواض الزينة"[1]، وهذا يدل على أن طبيعة الحيوانات في الأصل هي الاعتماد على نفسها في إيجاد غذائها ، وأن الإنسان غيّر هذه الطبيعة بطريقةٍ تتسم بالأنانية المتمركزة في ذاته.

ويتأثر التوازن البيئي بالسلوكيات الجماعية غير المدركة للعواقب المستقبلية، بسبب الظروف الاقتصادية، أو السياسية؛ كالهجرة والحروب لأنها تضر البيئة بالدرجة الأولى، وتزرع فيها دماراً لا يقل عن تدميره لبني البشر. ويصف لنا عمر في رواية (جبل حالية) جزءاً من هذا المشهد "عندما رأى عمر طائرتي الركّاب تصطدمان ببرجي التجارة العالمية، شعر بذهول، تحوّل إلى رعب يهزّ مفاصلة...يدرك جيّداً أن العالم بعد هذا الحدث سيكون مختلفاً عن العالم قبله... ويتخيّل كيف ستقفز الأرض بعد رحيل آخر كائن بشري من عليها...ستلتئم كل الجراح التّي خلّفها الإنسان على سطح الأرض، وتسود من جديد مملكة النبات التي ستخرج من كل الشقوق والفجوات التي تصل إليها الشمس، بعد أول شتاء من رحيل الإنسان. ستصبح كل المباني والأبراج ومظاهر التمدن مراتع للوحوش..."[2] فنلاحظ في هذه المقطوعات أن الإنسان يدرك تماماً أثر التصرفات العدوانية أو المدمرة تجاه البيئة، التي تخلّف أضراراً نفسية وبيئية. والراوي يقدم استشرافاً ورؤية مستقبلية لما ستكون عليه الحياة بعد أن يقضي الإنسان على نفسه فيها. فالرؤية تذهب إلى أن الإنسان كائن مدمر، وعدواني، ولن تبرأ الأرض إلاّ بفناء الإنسان. البيئة ستعيد دورتها الطبيعية الأولى مثل تدخل الإنسان فيها. وهنا رفض لفكرة التمدن وتغيير الطبيعة والمباني.

ويتحقق التكامل البيئي في الرواية السعودية عندما يُعَزّز بالسلوك الإيجابي الذي يساعد المنظومة البيئية في التوازن، من خلال العمل على كل ما يدعمها من غير ضررٍ أو تعدٍ لصالح الإنسان فقط، بل يتعامل مع البيئة بصفتها شيئاً يحتاج للاهتمام والرعاية من أجل استمرارية العطاء، وتبادل المنافع بين البيئة والإنسان، ونقرأ هذا الوعي في رواية (غواصو الأحقاف) حيث" يعتني أهل العقيق بعمتهم النخلة؛ مع أول

(1) الألمعي، إبراهيم، جبل حالية، ص١٧٦.
(2) الألمعي، إبراهيم، جبل حالية، ص١٧٦.

الخريف يعدّلون أحواضها المستديرة لتخزين الماء الذي ستدفعه جذورها لجذعها الفارع، بعد شهر يشذبون سعفها النامي من منابته... ما يبقون عليه من تاج النخل يزيلون شوكه قبل أن تنفلق أزهار لقاحه أكمامها، ينتظرون عذوقه حتى تثقل فيربطونها بالسعف لتكون في مستوى واحد، ويحمونها طوال العام من عبث الصبية ...ليجنوا في القيظ ضمان عام كامل"[1].وهنا نلاحظ الوعي وصل إلى درجة عالية من التكامل حيث أن أهل العقيق أصبحوا ينتسبون إلى النخلة "عمتهم النخلة"، فاعتبروها جزء من شجرة العائلة، فالتكامل مع الطبيعة يتجلى في اهتمامهم بالنخلة ، فيرون وجودها كوجودهم، وحياتها كحياتهم، فاهتمامهم بها كاهتمامهم بأحد كبار السن ، وحمايتهم لها من عبث الصبية كوعي بأهميتها وتقديراً لمكانتها في حياتهم.

(1) الفاران، أمل، غوّاصو الأحقاف، ص١٢٧.

الخاتمة:

لا يخلو الأدب السعودي من إشارات أو حديث أو تضمين لعلاقة الإنسان بالبيئة، وقد تجلى الوعي بالبيئة الكونية في مظهرين أساسيين للرواية السعودية هما: ثنائية التضاد، والموقف من البيئة.

تقوم ثنائية التضاد في الجمع بين المتناقضات والمقابلة بينهما على نحوٍ يبرز الإحساس بقيمة المتناقِضَين في المحيط البيئي وما يحدث من تفاعلات تنتج عن الوعي بذلك المحيط، والموت والحياة مظهرين متعارضين، وفي ذات الوقت متكاملين ومتلازمين لسير عجلة الحياة ولضرورة تجدّدها، ويشمل ذلك النبات والحيوان والإنسان والمكان، كلها تموت وتولد أخرى لتستمر الحياة وهكذا دواليك.

ويتشكل الموقف من البيئة في الرواية السعودية مع التصور الثقافي الذي يعتبر المسؤول عن تحديد علاقة الإنسان بالبيئة وتقنينها، وهذا التصور الذي يترسّخ عبر أشكال عدّة مثل الدين والفلسفة والوعي لأنه المسؤول عن بناء العلاقة بين الإنسان والبيئة ويحدد أسلوب الحياة الاجتماعية للفرد ، فنجده قد يتكيف مع الواقع أو يحاول تعديله، أو يرفض المحيط البيئي الذي يعيش فيه ويبحث عن محيط بيئي آخر.

المصادر:

- أبو دهمان، أحمد، رواية الحزام، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
- الألمعي، إبراهيم، جبل حالية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠٠٩.
- خال، عبده، الموت يمر من هنا، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- خال، عبده، مدن تأكل العشب، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- العصيمي، عواض، رواية قنص، دار الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- الفاران، أمل، غوّاصو الأحقاف، جداول للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٦.
- المحيميد، يوسف، الحمام لا يطير في بريدة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٤، ٢٠١١.
- مشري، عبد العزيز، رواية الوسمية، دار أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ط١، ٢٠١٨.